مع الأساطيل الإسلامية في قبرص

دكتور عبد العزيز الطنطاوي القرموط

لقد لفتت الانباء التي تردد في العالم يوم الخامس عشر من نوفمبر ١٩٨٣ م الموافق للعاشر من شهر صفر ١٤٠٤ هـ ، الانظار الى تلك الجزيرة القابعة في الجزء الشمالي من البحر الابيض المتوسط ، واختلفت وجهات النظر الدولية حول « جمهورية شمال قبرص التركية » . فقد أثار قيامها ضجة عالمية لم تنته بعد ، وأدت الى أجتماع مجلس الأمن ، وأقلق القرار الذي أعلنه رءوف دنكتاش أمريكا وبريطانيا واليونان وتركيا وغيرها ، كما كان محل نقاش وجدل في المجلس الاوروبي ، والامم المتحدة ، وخلق ازمة جديدة بالقرب من منطقة الشرق الاوسط (الاسلامية) الى جانب أزمة لبنان ، والحرب العراقية الايرانية ، وعمليات تصفية القضية الفلسطينية وقد عارض قيام هذه الجمهورية الاسلامية الجديدة الغالبية العظمى من دول العالم ،وللاسف الشديد عارضها الكثير من الدول الاسلامية أو على الاقل لم يظهروا تأييدهم لها .

ولكنني وجدت في اعلان الجمهورية الجديدة شيئا اخر ربما بدافع ديني أو بحكم تخصصي ، فأخذت أقلب الفكر ، وأجيل النظر حول هذه الجزيرة واحداثها الطويلة مع الاسلام وضده حتى هذا الاعلان ، واخترت فترة محددة لتجليتها ، علنا كمسلمين نأخذ العبرة والعظة من الماضي ، وننسى الخلافات التي بثها بيننا من

يغتنم فرصة الشقاق . وكان التاريخ يعيد نفسه من جديد ، ولكن بمسميات جديدة ، واشخاص جدد ، واسلحة حديثة ومتطورة ، ولكن الهدف في الحالتين واحد ، ولو في رأيي على الاقل .

فمع الجزيرة واحداثها ومع الأساطيل الاسلامية ودورها فيها .

لمحة جغرافية :

تقع جزيرة قبرص (١) وسط الركن الشمالي الشرقي من البحر الابيض المتوسط (بحر الروم سابقا) بين خطي عرض ٣٤ ، ٣٦ شمالا ، وخطي طول ٣٢ ، ٣٥ شرقا ، وهي ثالثة جزائر ذلك البحر الهادىء بعد صقلية وسردينيا .. وتبلغ مساحتها نحو من ٣٥٨٤ ميلا مربعا ، وهذا ما جعل الجغرافيون العرب يعتبرونها من « أعظم جزائر بحر الروم » (٢) وأعظم طول للجزيرة من الشرق للغرب ١٤٠ ميلا ، كما ان اكبر سعة لها من الشمال للجنوب ٦٠ ميلا .

على انها تكاد تقع على مسافة متقاربة أو متعادلة بين اسيا الصغرى ، وبلاد الشام (٣) . وهذا ما جعل مصيرها مرتبطا اشد الارتباط بهذين البلدين ، بل ان وقوعها بين ثلاث قارات ـ آسيا افريقية ، اوربا ـ جعلها منذ أقدم العصور قنطرة بين الشرق والغرب . فقد حرصت الدل الكبرى التى عرفها حوض هذا البحر الشرقي على السيطرة على قبرص ، واستخدامها في تحقيق مآربها واهدافها . ففي تلك الجزيرة اصطدم الجنس السامي بالجنس

---

(١) قبرص ـ بالصاد والسين ـ مأخوذة عن الاصل اليوناني

(٢) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ص ٢٣١ ط ليون ١٨٨٩ م .

(٣) تبعد عن الأناضول فى آسيا الصغرى مسافة ٤٠ ميلا للجنوب ، وعن سوريا ٦٠ ميلا للغرب .

الآرى ، وبين ربوعها التقى الشرق بالغرب على مر القرون ، وفي رقعتها الضيقة اجتمع الاسلام والمسيحية (١) • ومازال حتى ايامنا الحاضرة • وتستمد الجزيرة أهميتها من موقعها الجغرافي الذى يوحى للناظر أنها أشبه بمدفع يدوى (مسدس) فوهته مصوبة الى اقليم الشام ، كما أن موقعها في الزاوية الشمالية الشرقية من البحر الابيض يجعل لها سهولة التحكم في مياه هذا الشطر الشرقى منه ، بما يطل عليه من البلاد ، اذ يمكن للمرء ان يرى بالعين المجردة من قبرص اسيا الصغرى والشام ويبحر منها مباشرة وفي وقت قصير متجها الى بيروت او بورسعيد او الاسكندرية (٢) • على ان هذا الموقع لم يكن هو المصدر الوحيد لاهمية الجزيرة ، بل وجود الثروات الطبيعية ، وخاصة معدن النحاس الذى اشتق اسمه من اسم الجزيرة في معظم اللغات الاوربية بل والعربية أيضا ، اذ يذكر ياقوت الحموى في معجمه « ان قبرس وافقت من العربية القبرس وهو النحاس الجيد » (٣) بجانب الكروم والحبوب والخضر والقطن والفاكهة وقصب السكر •

الاسلام في قبرص :

يعتبر معاوية بن ابى سفيان والى الشام في عهد خليفة المسلمين عمر بن الخطاب هو أول من فكر في غزو جزيرة قبرص لتأمين أطراف الدولة الاسلامية من جهة ، والاستعداد لمواصلة

---

(١) د• سعيد عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ٣ • ط النهضة المصرية ١٩٥٧ م •

(٢) د• ابراهيم العدوى : قوات البحرية العربية ص ٣٠ •

(٣) معجم البلدان ج ١٧ ص ٢٦ ط بيروت ، عقد الجمان فى تاريخ اهل الزمان للعينى ج ٩ ق ٥٩ مخطوط •

الجهاد ضد الدولة البيزانطية من جهة أخرى . وألح معاوية على عمر ابن الخطاب في طلب الموافقة على فتح الجزيرة تقربها حتى انه قال له مرة : « ان قرية من قرى حمص ليسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم » (١) . ولكن عمر لم يشأ ان يغامر بجند المسلمين في مخاطرة بحرية . (٢) فنام مشروع غزو قبرص الى حين .

وبعد عمر عاد معاوية يطلب من الخليفة عثمان بن عفان (٢٣ - ٣٥ هـ) السماح له بذلك ، وامام الحاح معاوية وافق الخليفة على شريطة الا يكره الناس على ركوب البحر « فمن اختار الغزو طائعا مختارا فاحمله واعنه ، ومن اعرض عن ركوب البحر فلا حرج عليه » (٣) .

نزل في ميناء عكا ، وملأها بالمقاتلة ، وكانت السفن جميعها من مصر ، على حين اشترك مع الجند العرب كبار رجال الشام وغيرهم ، وكان الاقبال على هذه الغزوة البحرية اشد مما يتصور عثمان ، فقد اشترك فيها من الصحابة عدد كبير منهم ابو ذر الغفارى ، وعبادة بن الصامت وزوجته أم حرام بنت الحسن الأنصارية ، وأبو الدرداء ، وشداد بن أوس بن ثابت ، وأبو أيوب خالد الأنصارى ، وفضاله بن عبيد الانصارى ، وواثلة بن الاسقع الكنانى ، وعبد الله بن بشر المازنى ، والمقداد وكعب الحبى بن مانع وجبير بن نفير الحضرمى وغيرهم ، كما ان معاوية اصطحب معه اخته ، وقيل زوجته ، وقيل زوجته فاخته . (٤) حيث اراد الخليفة

---

(١) ابن الاثير : الكامل فى التاليخ جـ ٩ ص ٧٣ .
(٢) راجع تاريخ الامم والملوك للطبرى جـ ٥ ص ٥٢ .
(٣) الكامل فى التاريخ جـ ٣ ص ٧٤ .
(٤) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٨١ .

عثمان ان يضمن صدق عزيمة معاوية في الاغارة على الجـــزيرة ، وليتأكد من قربها من الشام . ولم يكن معاوية في حاجة الى ان يقدم الدليل على صدق مشاريعه الحربية ، وأمله في انطلاق قوات العرب البحرية في مياه البحر المتوسط ، اذ كانت حماسته لغزو الجزيرة تفوق في شدتها أى دليل . (١)

فلما انتهى شتاء سنة ٢٨ هـ / ٦٤٩ م أبحرت السفن الاسلامية مسجلة بذلك أول عبور حققه العرب لمياه البحر المتوسط ، ولم يحدد مؤرخو المسلمين عدد السفن التى اشتركت في هذه الغـــزوة ، وان احصاها الغربيون ٧٠٠ سفينة أو ١١٧ سفينة (٢) .

وشاء الله ان يصل الأسطول الاسلامى الى الجزيرة ، فعـرض عليهم معاوية المسالمة ورفضـــوا فما كان منه الا أن نزل الى البر وحاصر الجزيرة مبتديا بمدينة قنسطانطيا العاصمة بالشـــاطىء الشرقى ، واستولى عليها ، ثم استمر تقدمهم نحو المدن الاخرى ، مما جعل أهل الجزيرة يذعنون للأمر ، وأرسلوا « أرخونا » أو حاكم الجزيرة يطلب الصلح (٣) ، فصالحه معاوية على شروط دلت على العوامل الحقيقية التى دفعت العرب الى بناء اسـطولهم في هـذا البحر ، وجعل قبرص الهدف الأول لقوتهم البحرية ويتخلص ذلك في النقاط التالية :

١ ـ ان يدفع القبارصة جزية سنوية للمسلمين مقدارها سـبعة الاف دينار . (٤)

---

(١) العدوى : الأمويون والبيزنطيون ص ٩٠ .
(٢) عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ٦ .
(٣) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٥٦ .
(٤) العينى : عقد الجمان ق ٥٦ .

٢ ـ ان يدفعوا مثلها للدولة البيزنطية ، ولا يمنعهم المسلمون عن ذلك .

٣ ـ ان يخبر أهل قبرص المسلمين بما سوف يحتاطوا ويأخذوا عدتهم .

٤ ـ ان تكون قبرص طريق المسلمين إلى البلاد البيزنطية .

٥ ـ عدم تقديم القبارصة اية معونه لاعداء المسلمين .

ويتضح من الشرط الثانى ان المسلمين أرادوا عدم اثارة البيزنطيين ضدهم بصورة اعنف يكون سببها قبرص لو قطعوا عنها ما كانت تحصل عليه من الجزيرة بالكلية . ومن الشرط الثالث يبدو لنا ان المسلمين ادركوا أهمية موقع الجزيرة بالنسبة لممتلكاتهم في الشام ، وخافوا ان يتخذوا عدوهم قاعدة للهجوم عليهم .

وبالنسبة للشرط الرابع يتضح ان المسلمين ارادوا ان يجعلوا من قبرص قاعدة للهجوم على بلاد الدولة البيزنطية فيما بعد ، وهذا الشرط يتفق في الواقع مع ما أشار اليه ابن خرداذبه من داب الاساطيل الاسلامية على التجمع في جزيرة قبرص كلما تأهبت للغزو في بلاد الدولة البيزنطية . (١)

وبعد ابرام معاوية لهذه الاتفاقية مع جزيرة قبرص عاد الى دمشق في شيء من السرعة لسماعه ـ فيما قيل ـ بأن حملة بيزانطية من قبل الامبراطور قنسطانس الثانى (قسطنطين الثالث : ٦٤١ ـ ٦٦٨ م) تقترب من الجزيرة . وربما كان السبب أيضا بداية

---

(١) المسالك والممالك ص ٢٥٥ .

اضطراب الأحوال في الدولة الاسلامية ، مما جعل معاوية يعجل بالعودة الى مقر ولايته • (١) ولكن بعد ان دون اول شطر في سجل النشاط البحرى الطويل الذى خاضته قواته في سبيل اعزاز العروبة والاسلام ، كما ان هذا النصر البحرى الاول رفع من روح العرب المعنوية ، وازال مخاوفهم من تهيب ركوب البحر •

ونتيجة لهذه الحملة الاسلامية ، وما ارتبط بها من صلح كان على الاسطول الاسلامى ان تتضلع قواته بمراقبةجزيرة قبرص لتتأكد من صدق أهلها في الوفاء بالتزاماتهم ، ولتحول بين البيزانطيينواتخاذها قاعدة لهم • وظلوا على ذلك فترة ولكن بمرور الوقت حاول أهل قبرص التخلص من معاهدة المسلمين السابقة ، ووصلت الاخبار الى معاوية بنقض أهل الجزيرة للعهد ، وان قنسطانس يعينها بسفنه ، وأنه يعمل على تعزيز قوات بها وزيادتها ، وانهم فعلا هاجموا الشواطىء العربية • لذلك صمم معاوية على استخدام قوته البحرية مرة اخرى ليحرم الروم نهائيا من استغلال جزيرة قبرص وأهلها •

ولذلك لم تمر سنة ٣٣ هـ / ٦٥٤ م الا وتحرك اسطول اسلامى كبير مكون من خمسمائه سفينة • (٢) وعدد كبير من الجند متوجها الى قبرص لاعادتها الى سابق عهدها • ولكن يبدو أن أهل قبرص قد ذاقوا الكثير من غزوة المسلمين السابقة سنة ٢٨ هـ ، اذ لم تكد

---

(١) يقولون أن أم حرام زوجة عبادة بن الصامت سقطت عن ظهر دابتها فاندق عنقها ، ودفنت بالجزيرة ، ومازال قبرها حتى العصر الحاضر ببلدة حلا سلطان تكى ـ هلا سلطان تكة ـ يعظمه المسلمون فى قبرص ويسمونه قبر المرأة الصالحة ، وهو على مسافة ثلاثة أميال من لارناكا وقد بنى الأتراك عنده مسجدا كبيرا •

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٨١ •

تقترب السفن الاسلامية من الجزيرة تلك المرة حتى فر أهلها الى الجبال ، على حين ركب بعضهم البحر طلبا للنجاة . اما المسلمون فلم يكتفوا بالغزو العابر ، بل ظلوا في الجزيرة حتى فتحوا كل بلادها فتحا حربيا ، ونجحوا في تلقين السلطات بها درسا قاسيا لاخلالهم بشروط الصلح السابق ، وأخذوا من أهلها الكثير من الاسرى .

ولكنه في هذه المرة أراد ان يدعم النفوذ الاسلامى بالجـــزيرة ، ففضلا عن الزام أهلها بآداء المطالب المالية وغـيرها من الالتزامات التى كانوا متعهدين بادائها ، نقل اليها غداة عودته الى الشـــام اثنى عشر الفا من الجند النظامى ، واجزل لهـــم الدولة الرواتب ليكونوا جيشا مقيما بها يصد عنها عـــدوان البيزانطيين ، ويقضي على أية اغارة يحتمل ان تحل بالجزيرة ، كما نقل اليها جماعة من اهل بعلبك ، واغراهم معاوية على البقاء بمـــا منحتهم من الرواتب ، وليشدوا أزر الحامية ، ويقلل من تطلع السكان الاصليين بالجـزيرة الى العودة لمساعدة البيزانطيين . ومازال هؤلاء وأولئك بجـزيرة قبرص حتى قيام الدولة الأموية سنة ٤٠ هـ / ٦٦٠ م . (٢)

وقد شيد معاوية لهذه الجالية الاسلامية مدينة جديدة خاصـة بهم ، ومسجدا يؤدون فيه شعائر دينهم . (٣)

وهذه الظاهرة تنهض دليلا على حرص معاوية على ابقاء قبرص خاضعة للمسلمين ، اذ كان تأسيس المسلمين للمدن في الجهـــات

---

(١) الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ١٠٧ .

(٢) فتوح البلدان ص ١٨٢ . ويقـــول ارشيبالد لويس فى كتابه القوى البحرية ص ٩١ انها ليبيتوس على الســاحل الشـمالى الجزيرة .

الجديدة التى ينزلون بها ، فضلا عن بناء مساجد لهم من العلامات الدالة على عزمهم الراسخ على الاستقرار بالمكان الذى نزحوا اليه .

ويعزى تشدد معاوية بن أبى سفيان في معاملة أهالى قبرص بعد هذه الحملة الثانية الى رغبته في وضع حد نهائى لتقلب اهوائهم وتكرار مساعدتهم للبيزانطيين ، اذ كان موقف أهل قبرص من الدولة الاسلامية مثار جدل ونقاش ، وتشعب في الآراء بين قادة المسلمين حين نقضوا شروطهم للصلح السابقة ، وغدا موضع شك من حيث اخلاصهم ، حتى قال أحد المسلمين في مناقشاتهم ، « ما وفي بعضهم السوابق على اعهد الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا : « أنه من نقض عهدا فلا ذمة له » (١) .

ولكن حكمة معاوية دفعته الى التوفيق بين الاراء ، وجدد ما في الصلح السابق من مميزات للدولة الاسلامية دون ان يشتط في معاملة أهالى قبرص أنفسهم ، وليتجنب بذلك ما قد يثار في نفوسهم من حقد وضغينة على المسلمين ، فقد ادرك بثاقب نظره ان اولى الامر وحدهم في الجزيرة هم المسئولون عن مؤازرة البيزانطيين ، وتشجع اهلها على مناوأة المسلمين فأهل قبرص كما يذكر البلاذرى:

« اذلاء مقهورون ، يغلبهم الروم على أنفسهم ونسائهم ،فقد يحق علينا ان نمنعهم ونحميهم » (٢) ولذا جاء احتلال معاوية لقبرص حلا لمشكلة اهتم بها المسلمون ، وأضاف بهذه الجزيرة رقعة جديدة الى ارض الاسلام ، كما استطاع ان يقلم أظافر البيزانطيين ، وليدركوا ما عليه البحرية الناشئة للمسلمين من فتوة وقوة ، كما اقنت الموانى الاسلامية انذاك من الاخطار التى هددتها .

---

(١) البلاذرى : المرجع السابق ص ١٨٤ .
(٢) المرجع السابق ص ١٨٥ .

قبرص بعد معاوية :

واذا كان فتح قبرص على يد معاوية بداية النشاط البحرى العظيم في البحر المتوسط حتى دان الجزء الشرقى منه بجزره للسيطرة الاسلامية ، فقد اثارت من جانب آخر حماسة الدولة البيزانطية نحو البحر ، ودفعتها للقيام بعمليات بحرية جديدة ، وكانت هذه العمليات قد توقفت منذ فشلها في معركة الاسكندرية سنة ٢٤ هـ / ٦٤٥ م ٠ وبعد عشر سنوات ، وبالتحديد سنة٣٤هـ/٦٥٥م أعد قنسطانز الثانى خليفة هرقل أسطولا كبيرا تراوح عدده من ٧٠٠ الى ١٠٠٠ سفينة شراعية ، والتقى هذا الاسطول في السنة نفسها باسطول صغير مشترك من العرب والمصريين مكون من مائتى سفينة اقلعت من شواطىء سوريا قرب فونكس باسيا الصغرى ، وتعرف هذه الموقعة في التاريخ باسم « ذات الصوارى » والتى انتهت بنصر عربى كبير في معركة بحرية شرسة عبر عنها بحسرة أرشيباند لويس بقوله :«ويبدو ان انتصارهم جاء نتيجة لخطط غير عادية»(١) ترتب عليها تدعيم سيادة الاسطول الاسلامى على الشواطىء الشرقية للبحر المتوسط ، فقد ادرك قنسطانز ومن جاء بعده من الاباطرة ان الاسطول الاسلامى صار قوة عظيمة ، وان الروم لن يستطيعوا اخراج العرب من الاراضي التى فتحوهامن امبراطوريتهم، فطردوا فكرة استرداد هذه البلاد منهم ، وفضلوا الاعتراف بالامر الواقع ٠ كما يعتبر هذا الانتصار البحرى العظيم آخر العمليات البحرية التى استمرت اكثر من عشر سنوات بين الطرفين توقف المسلمون بعده ، ولم يحاول البيزنطيون معاودة نشاطهم البحرى ، ويرجع السبب في ذلك الى وجود بعض المشاكل الداخلية عند كل من الطرفين ٠ (٢)

---

(١) القوى البحرية ص ٩٢ ٠

(٢) المرجع السابق ص ٩٢ ٠

وتطورت الاحداث في الدولة الاموية بعد وفاة معاوية كما هو معروف ، ومن ناحية ثانية وجهوا جهودهم نحو الشمال (القسطنطينية) ، ولكن لم يستطع العرب حتى ذلك الوقت اخضاعها لنفوذهم ، وكان ذلك سببا في تغيير موازين القوى في البحر الابيض ٠

فقد عقد يزيد بن معاوية الصلح مع البيزانطيين على ان يدفعوا مقدار ٣٠٠٠ رطل ذهبا ، وخمسين أسيرا ٠ وخمسين حصانا كل عام ، كما ارغم فيما يزعم ارشيبالد على سحب الحامية العربية من قبرص بعد ان مضي عليها هناك ثلاثون عاما (١) ٠ واخرب المدينة التى أقاموها ، وهناك رواية أخرى حول هذه النقطة ٠ (٢)

وبعد يزيد تولى ابنه معاوية الخلافة ، ولكنه زهد فيها ، وتنازل عنها ، وبعد فترة من النزاع والخلاف استطاع مروان بن الحكم ان يتولى الخلافة سنة ٦٤ هـ / ٦٨٥ م ، فانتقلت الخلافة الى البيت المروانى ، ولكن لم ينس سياسة اسلافه في الاهتمام بالاسطول ، وتدعيم قواته في البحر المتوسط بعد انتكاسة قصيرة ٠

ففى عهد عبد الملك بن مروان (٦٥ – ٨٦ هـ / ٦٨٥ – ٧٠٥ م) استطاع المسلمون اقصاء المردة في الشمال من دولتهم ، وهم الذين دأب الروم على استغلالهم في شل التعاون بين القوات البرية ، والاسطول الاسلامى ٠ أبعدهم عبد الملك عن اماكنهم نهائيا بجبل اللكام ٠ (٣)

---

(١) القوى البحرية ص ٩٧ ٠
(٢) سعيد عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ٩ – ١٠ ٠
(٣) العدوى : قوات البحرية العربية ص ٦٨ ٠

ويرجع نجاح الخليفة عبد الملك بن مروان الى دهائه وقصر نظر معاصره جستنيان (٦٨٥ ـ ٦٩٨ م) اذ دخل عبد الملك مع هذا الامبراطور في مفاوضات تستهدف نقل المردة من جبل اللكام الى داخل اراضي الروم مقابل دفع ألف دينار سنويا ، ولم يجد عبد الملك اية غضاضة في دفع هذا المبلغ مقابل ابعاد اكبر خطر يهدد قواعد الاسطول الاسلامى بالشام ، ونجحت تلك المفروضات حيث نقل جستنيان الثانى ١٢٫٠٠٠ من المردة الى رومانيا ، على حين ذهب بعضهم الى تراقيا ، وتبعثرت البقية الباقية منهم داخل آسيا الصغرى (١) .

وبذلك كسب عبد الملك جولة هامة في تدعيم الاسطول العربى في فترة كان مشغولا فيها بثورة عبد الله بن الزبير الذى حمل لواء المعارضة للبيت الاموى بعد استشهاد الحسين بن على . وقد أحس المعاصرون من الروم خطورة عمل جستنيان الثانى وفداحة الخطأ الذى تردى فيه حين أجاب الخليفة عبد الملك الى طلبه ، اذ قال اولئك المعاصرون ان نقل المردة حطم « الستار الحديدى » الذى وقف في وجه طلائع الاسطول العربى وقواته في هجومها على بلاد الروم .

ومن ناحية ثانية استغل عبد الملك بن مروان الهدنة ، وعمد الى تنظيم قواته برا وبحرا ، كما عمل على تخلص الدولة الاسلامية من التبعية البيزنطية في العملة التى كانت تعتبر أساس التعامل منذ الجاهلية .

ففى سنة ٧٤ هـ ضرب عملة اسلامية على أحد وجهيها « قل هو

---

(١) العدرى : الامويون والبيزنطيون ص ٢٠٦ .

الله أحد » مما أثار جستنين الثانى (١) ٠ فما أن أرسل اليه الخليفة التزاماته المالية للبيزنطيين سنة ٧٤ هـ / ٦٩٢ م ـ بسبب الهدنة ـ حتى رفض قبولها ، ونجم عن ذلك تجدد الصراع الحربى ، ولم يقتصر على التهديد والوعيد ، بل دارت رحى معارك بينهما ، فقد بدأ جستنيان بعد رفض قبول الالتزام المالى التحرش بالمسلمين ومهاجمة أراضيهم ، ولكن صادفت هذه الاعمال انتهاء الخليفة عبد الملك من مشاكله الداخلية كلها ، وعول على القاء درس قاس على الامبراطور البيزنطى المغرور ٠ وتم اللقاء المرتقب عند مدينة سيواس بآسيا الصغرى وانتهى بانتصار ساحق للمسلمين ٠ وهزيمة هروعة للبيزنطيين (٢) ٠

وهرب الامبراطور من المعركة ، ثم اضطر الى الموافقة على الصلح مع المسلمين على ارمينية وقبرص ، واضطر جستنيان الى الموافقة كذلك على أن يكون لخليفة المسلمين ألف دينار زيادة على النصف الخاص بالمسلمين من الجزيرة القبرصية (٣) ٠ الذى اتفق عليه منذ أيام معاوية بن أبى سفيان (٧٠٠٠ دينار) ٠ غير أن جستنيان أحس بأن الصلح صفقة خاسرة له ، فأخذ يلتمس الاعذار لنقضها الى أن أتيحت له الفرصة سنة ٧٥ هـ / ٦٩٣ م ، ولم يكن حظه بأحسن حال من سابقه ، فعمد الى نقل جزء من القبارصة عن جزيرتهم الى آسيا الصغرى ليحرم الخليفة من نصيبه من دخل قبرص (٤) ٠

---

(١) راجع حول ذلك ، فتوح البلدان ص ٣٤٩ ٠
(٢) الشيبالد : القوى البحرية ص ٩٩ ٠
(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٨٤ ٠
(٤) عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ١٠ ٠

ورغم ذلك هدأت الاحوال في البحر المتوسط الشرقى فترة من الوقت انشغل فيه المسلمون بالفتح في آسيا الصغرى من ناحية ، وفي شمال أفريقية من ناحية ثانية • ونحن نعلم مدى المشقات التى تحملها المسلمون في هذين الجانبين •

وعندما توفي الخليفة عبد الملك سنة ٨٦ هـ ترك لابنه الوليد دولة ثابتة الاركان ، فتابع سياسية أبيه في تقوية الاسطول الاسلامى ، وخلق تعاون قوى بينه وبين القوات البرية ، واستمر في في الفتح شمالا وغربا كما هى العادة السابقة ووفق في بعض الميادين ، وجانبه التوفيق في جانب آخر •

ولكن أوضاع قبرص التى تعنينا هدأت فترة من الوقت لهجرة القبارصة الى المدينة الجديدة التى شيدها لهم الامبراطور ، والتى تدعى « جستنيان الجديدة » ، فان الامبراطور طبريوس الثالث (٦٩٨ ـ ٧٠٥ م) ، قد أعاد القبارصة الى جزيرتهم (١) •

وفي عهد عمر بن عبد العزيز حاول المحافظة على قواتهوأسطوله فأصدر أمره الى قائده مسلمة بن عبد الملك يطلب منه العودة الى بلاد الشام (٢) •

وفي فترة عمر بن عبد العزيز نشط الاسطول البيزنطى بعد الركود ، فأغار سنة ١٠١ هـ ـ ٧٢٠ م على دلتا النيل ، واضطر الخليفة الى تخفيض الجزية المقررة على جزيرة قبرص الى ما كان عليه في السنوات الاولى أيام معاوية (٣) • ولم يكن للعرب نفوذ في

---

(١) سعيد عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ١١ •
(٢) العدوى : قوات البحرية العربية ص ٧٨ •
(٣) ارشيبالد : القوى البحرية ص ١٠٥ •

الفتح سوى المناطق الغربية فقط ٠ وفي سنة ١٠٦ هـ – ٧٢٥ م أغار الاسطول البيزنطى على دلتا النيل مرة ثانية ٠

ونتيجه لتطور الاحداث في آسيا الصغرى وحول القسطنطينيه من ناحية ، ونشاط الزحف الاسلامى غربا ، وتثبيت أركانه وقواعده من ناحية ثانية ، والتفوق البحرى للاساطيل الاسلامية غرب البحر المتوسط واخضاع جزائره من ناحية ثالثة ، رغم ذلك فقد عادت جزيرة قبرص الى مسرح الاحداث بين الدولة الاسلامية ، والامبراطورية البيزنطية مرة أخرى ٠

ففى سنة ١٠٧ هـ ـ ١٠٨ هـ (٧٢٦ م) أغار أسطول اسلامى على جزيرة قبرص في عهد معاوية بن هشام بن عبد الملك ، على حين غزا مسلمة بن عبد الملك في آسيا الصغرى ، ولم توضح المراجع تفاصيل هذه الغزوة (١) ٠ وان ظهران الجزيرة فرض عليها جزية عالية كالتى فرضت زمن الملك بن مروان وابنه الوليد ٠

ولم يكن الوضع في بيزنطة يسمح بمقابلة ذلك العدوان بمثله قبل مضي عشر سنوات على الاقل (٢) ٠ وربما يرجع السبب الى الاضطراب السياسي الذى أصاب الامبراطورية في عهد ليو الثالث (٣) فلما جاءت سنة ١١٨ هـ ـ ٧٣٦م أغارت بيزنطة على مصر ، واستولت على عدد كبير من السفن ، ثم أعقبت هذه الغارة بغارة أخرى أكبر منها قوامها ٣٦٠ سفينة ، فقتلوا وسبوا (٤) ٠

---

(١) الكامل فى التاريخ جـ ٥ ص ١٠٤ ـ ١٠٥ ٠
(٢) ارشيبالد : القوى البحرية ص ١٠٧ ٠
(٣) راجع هذه الأحداث فى المرجع السابق ص ١٠٥ ـ ١٠٦ ٠
(٤) د٠ سعاد ماهر : البحرية فى مصر ص ٨٨ ٠

وقد قابل العرب هذا العمل بغارة على قبرص عام ٧٤٣ م – ١٢٥ هـ وحملوا معهم عددا كبيرا من سكان الجزيرة ، واحتفظوا بهم اسرى في سورية (١) ٠

وقيل أن الخليفة الوليد بن يزيد أرسل حملة بقيادة الاسود بن بلال لغزو قبرص ، وتذكير اهلها بالصلح القديم ، ويبدو ان أخبارا غير مطمئنة وصلته فعمل على اخلائها ، فهاجر بعض أهلهـــا الى الشام ، وبعضهم الى الدولة البيزنطية ، فلما مات الوليد عمل يزيد ابنه على اعادة القبارصة جميعا من بلاد الشام الى بلادهم (٢) ٠

وفي أواخر أيام الدولة الاموية ظهر بقبرص وباء عظيم لم يلبث أن انتشرت أخباره في الجهات المجاورة ، فانتهز المســـلمون تلك الفرصة ، وأرسلوا حملة كبيرة من الاسكندرية للاغارة على الجزيرة ، والاستيلاء عليها ، وكان ذلك سنة ١٢٩ هـ – ٤٧١ م ، وقد اســتولت تلك الحملة على أحد الموانى القبرصية ، وأقامت به مدة لاعـــداد العدة لفتح الجزيرة كلها ، ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان ، ولم يخطر على البال ، فقد ظهر الاسطول البيزنطى في البحـــر الابيض بالقرب من الجزيرة ، وكان ظهوره مفسدا لمشروع الفتح الاســـلامى اذ بغتها ، وسد عليها مدخل الميناء ، فقطـــع بذلك الطريق بين الحملة ، وبين القواعد الشامية والمصرية ، ثم حطم معظم سفنها ، حتى أنه لم يبق من ذلك الاسطول الاسلامى المكون من مائة ســفينة سوى ثلاث سفن فقط (٣) ٠

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٧ ٠
(٢) عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ١١ ٠
(٣) عاشـــور : برص والحروب الصـــليبية ص ١٢ ، وقد جعلهـــا ارشيبالد فى ألف سفينة تمثل فى رأيه مدى ما بلغته القوة البحرية من ازدهار فى سورية ومصر ٠ (القوى البحرية ص ١٠٨) ٠

وكانت هذه الحملة هى الجولة الاخيرة في الصراع البحـرى بين الاساطيل الاسلامية في أيام الامويين ، وبين البيزنطيين • وقد انتهت ـ كما سبق أن رأينا ـ بكارثة عظيمة ، ترتب عليها ـ فيما يبدو ـ عدم السماح بحملة كبيرة اخرى تخـرج من مصر او من غـيرها من القواعد الاسلامية ضد قبرص ولمدة طويلة من الزمان ، قدرها شيبالد لويس بأكثر من قرن من الزمان • وسنجد خطأ هذا الرأى وختله بعد قليل ، وأنه ان دل على شيء فانما يدل على العقلية الاوربيـــة الحاقدة على الاسلام ودولته ، تلك الصفة التى يتصف بها وأمثاله•

العباسـيون وقبرص :

لمـا قامت الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ ـ ٧٥٠ م رأى خليفتهم الثانى أبو جعفر المنصور (١٣٦ ـ ١٥٨ هـ ـ ٧٥٤ ـ ٧٧٥ م) أن ينصف القبارصة مما لحقهم فخفف عن كواهلهم عناء الزيادة في الضرائب وردهم الى صلح معاوية بن أبى سفيان ، وألغى لذلك القدر الزائد الذى فرضه عليهم عبد الملك بن مروان بموافقة جستنيان الثانى •

ويروى عن أبى جعفر أنه قال في هذا الصدد : « نحن أحق من أنصفهم ، ولم نتكثر بظلمهم » (١) •

على أن هذه البداية الطيبة التى ظهرت في عطف المنصور على القبارصة لم تستمر طويلا ، اذ لم يلبث أن حذا العباسيون حـــذو الامويين في الاغارة على الجزيرة مرة بعد اخرى كلما تطلب الأمـــر مضايقة البيزنطيين في ناحية من امبراطوريتهم • ففى سنة ١٥٥ هـ ـ ٧٧٢ م طلب عاهل الروم قسطنطين الخامس الصلح على ان يؤدى

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٨٣ •

الجزية للمسلمين (١) • ويرجع السبب في ذلك الى تأثير الصوائف (٢) العديدة التى كان يرسلها العباسيون ، والتى أضجت مضاجع الروم وأرهبت امبراطورهم •

وفي سنة ١٨٥ هـ ـ ٧٧٥ م أشارت المراجع الى اغارة غامضة قام بها الاسطول الاسلامى على قبرص ، ووقع فيها حاكم الجـزيرة البيزنطى أسيرا في أيدى المسليمن (٣) •

ويبدو أن تلك الحملة قصـد بها المسلمون صرف الامبراطورية عن مدينة قليقية حيث كان صمامة بن وقاص القائد الاسلامى يعمل منذ ثلاث سنوات في فتح ذلك الركن الهام من الدولة البيزنطية ، فرؤى أن تقوم تلك الحملة بما يخفف شيئا من الضغط المكثف الواقع على صمامه لعله يستطيع الاستيلاء على قليقية في شيء من السهولة والاستمرار في الفتح •

وفي عهد هارون الرشيد (١٧٠ ـ ١٩٣ هـ ـ ٧٨٦ ـ ٨٠٩م) أغارت السفن الاسلامية على جزيرة قبرص من جديد سنة ١٧٤ هـ ـ ٧٩٠ م ولا يوجد بالمراجع التى اطلعت عليها معلومات شافية وافية عن تلك الاغارة ، وكل ما هنالك كان بصدد المعركة البحرية التى دارت رحاها بالساحل الجنوبى لآسيا الصغرى عند خليج أضاليا بالشمال الشرقى من الجزيرة ، وذلك ان الامبراطورة رينى عنـدما علمت بنبـأ تلك الاغارة أرسلت اسطولا لاحباط غـرض المسـلمين ، فالتقى ذلك

---

(١) الطبرى جـ ٨ ص ٤٦ ، الكامل فى التاريخ جـ ٦ ص ٢ •

(٢) الصوائف جمع صائفة وهى غزوات متتابعة كانت ترسل للفتح شمالا كل صيف فى الأناضول وآسيا الصغرى •

(٣) ارشيبالد : القوى البحرية ص ١٦٠ •

الاسطول بالسفن الاسلامية التى أغارت على قبـــرص ، ودارت معركة البحرية عنيفة وقاسية انتهت بأسر طفيل ٠
أمير البحر البيزنطى ، حيث عاد به المسلمون الى بغداد ، وقـــد وعده الخليفة الرشيد باطلاق سراحه اذا اعتنق الاسلام ، ولكنـــه ركب رأسه ورفض هذه المنحة ، فأمر الرشيد بقتله ، واعتبـــره البيزنطيون شهيدا (١) ٠

وفي عهد الرشيد أيضا ، وبالتحديد سنة ١٩٠ هـ ـ ٨٠٦ م حدثت اغارة أخرى ، وسببها أن الخليفة غزا آسيا الصغرى ، واســـتولى على كثير من مدنها وحصونها حتى اضطر الامبراطور نقفور الاول ـ الذى أصبح امبراطورا بعد رينى ـ الى عقد الصلح الذى جاء فيه ان يدفع الامبراطور غرامة مالية كبيرة للخلافة العباسية (٢) ٠ مع التعهد بعدم اعادة بناء الحصون والقلاع المهمة بأطراف آســـيا الصغرى ، وقد دفع فعلا الخراج والجزية عـــلى حـــد تعبير أبى المحاسن (٣) ٠

لكن نقفور لم يرع تلك الشروط بل نقضها نقضا صريحا ، فرد عليه الخليفة ردا عمليا حيث أرسل اليه جيوشا برية وحملة بحـــرية في آن واحد ، فأوغلت الجيوش في آسيا الصغرى حتى وصلت الى هرقلة في الشمال الغربى من طرسوس ، بينما قصدت الحملة البحرية جزيرة قبرص الذين نقض اهلها الصلح (٤) أيضا ٠ وكانت هـــذه الحملة تحت قيادة حميد بن معيوف الهمدانى الذى أعمل في مدنهـــا

---

(١) عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ١٣ ٠
(٢) راجع الطبرى والكامل في أحداث سنة ١٩٠ هـ ٠
(٣) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٣٣ ٠
(٤) المرجع اسابق ٠

هدما واحراقا وتدميرا نكاية في أهلها المتـــذبذبين ، كما أسر من سكانها عددا عظيما قدره الطبرى في تاريخه بستة عشر ألفا ، وابن الاثير في كامله بسبعة عشر ألفا • ووجد المسلمون أن من بين الاسرى أسقف قبرص • ثم عاد بعد ذلك حميد ومعه ذلك العدد الكبير حيث بيعوا ، وبلغ ثمن الاسقف وحده ألفى دينار (١) •

ويذكر البلاذرى أن القبارصة أخذوا من ثم يعملون على تحسين علاقتهم بالدولة العباسية مما جعل الرشيد يأمر برد جميـــع الذين صاروا اليه من الاسرى الى قبرص من غير فدية (٢) •

وتشير المراجع الى غزوة ثالثة حلت بقبرص على عهـد هارون الرشيد ، ولكن لا توجد تفاصيل أو معلومات كاملة أو وافية عنها ، اللهم الا ان قائد الحملة كان معيوب بن يحيى الهمدانى (٣) •

وعلى كل حال فقد استطاع الاسطول الاسلامى ضمان السيادة البحرية للمسلمين فترة من الزمن عبر عنها العـــلامة ابن خلدون بقـــوله :

« وكان المسلمون لعهد الدولة الاسلامية قد غلبوا على هـــذا البحر من جميع جوانبه ، وعظمت صولتهم وسلطانهم فيه ، فلم يكن للامم النصرانيـة قبـل بأساطيلهم او بشيء من جوانبهـــا وامتطوا ظهره للفتح في سائر أيامهم ، فكانت لهم المقامات المعلومة من الفتح والغنائم ، وملكوا سائر الجزائر المتقطعة على السـواحل فيه ، مثل ميورقه ومنورقه ويابسة وسردانية وصقلية وقوصرة ومالطة

---

(٢) الكامل فى التاريخ ج ٦ ص ١٣٤ •
(١) فتوح البلدان ص ١٨٣ •
(٣) عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ١٤ •

واقريطش (كريت) وقبرص وسائر ممالك الروم والافرنج ٠٠٠٠ والمسلمون خلال ذلك كله قد تغلبوا على كثير من لجة هذا البحر ، وسارت أساطيلهم فيه جائية وذاهبة ، والمساكر الاسلامية تجتاز البحر في الاساطيل من صقلية الى البر الكبير ـ ايطاليا ـ المقابل لها من العدوة الشمالية ، فتوقع بملوك الافرنج وتثخن في ممالكهم ، وانحازت أمم النصرانية وأساطيلهم الى الجانب الشمالى من سواحل الافرنجة والصقالبة والجزائر الرومانية لا يعدونها ، وأساطيل المسلمين قد ضربت عليهم خبراء الاسد على فريسته ، وقد ملأت الاكثر من بسيط هذا البحر عدة وعددا ، واختلفت في طرقه سلما وحربا ، فلم تسيح للنصرانية من أكواخ ٠٠٠٠ (١) فأين نحن الآن وسط الاسطول السادس والسابع وغيره من المسميات ؟

المهم أنه وعلى مدى قرن من الزمان تقريبا ظلت قبرص بمنجوة من الاغارات الاسلامية ٠ ولا شك ان ما طرأ على هذه الدولة الاسلامية من خلاف الامين والمأمون ، وما لحق ذلك أدى الى فتور النشاط البحرى الاسلامى في هذا الجزء من البحر بالقياس الى مدها الدافق القديم ٠

على انه يبدو أن قبرص بقيت رغم ذلك على تبعيتها المزدوجة للمسلمين والبيزنطيين ، اذ استمر القبارصة يدفعون الجزية بانتظام للخلافة ٠ ولا نتعجب من استمرارها على دفع نصيبها ، فان الأساطيل الاسلامية في غرب البحر المتوسط كانت في قمة نشاطها وحيويتها تحمى الشواطىء ، وتذود عن حياضها ـ الاسطول الاسلامى في شمال افريقية ، وأسطول الاندلس ـ كما أنه في تلك الفترة ، وابتداء من

---

(١) المقدمة ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣ ٠

سنة ٨٢٧ م استطاع الربضيون من أهل الاندلس (١) الاستقرار في جزيرة كريت (اقريطش) وتهديد السفن المسيحية في هذه المنطقة وظلوا لمدة قرن ونصف من الزمان يقضون مضاجع الروم والبيزنطيين، وينشرون الاسلام في ربوع الجزيرة ، تلك التى سدت مدخل بحـــر ايجه ، ويخففون بأعمالهم ضغط الاعداء عند الاطراف الاسلامية شرق جنوب البحر المتوسط .

ولكن حدث عندما قامت الحرب بين المســلمين والبيزنطيين في جزيرة اقريطش سنة ٢٨٩ هـ ـ ٩٠٢ م ، والامبراطور جوليو السادس (٨٨٦ ـ ٩١١ م) ان كلف الامبراطور نائبه في جزيرة قبرص وهـــو هميريوس أن يمنع الاتصال بين المسلمين في كريت وقواعد المسلمين بساحل الشام . واعتبر المسلمون ما قام به هميريوس في ذلك الصدد منافيا تماما لحياد قبرص ، ومناقضا تماما للشروط المتفق عليها مع القبارصة ، ولذلك أغار عليها الاسطول الاسلامى سنة ٢٩١ هـ ـ ٩٠٤م لاعادة الاوضاع كما كانت ، واشعار أهل الجزيرة بمغبة الخروج على الاتفـــاقات .

ولذلك لم يكتف المسلمون بتلك الغارة العابرة وفقط ، بل أرسلوا اليها حملة تأديبية كبيرة على رأسها دمنانه أكبر الغزاة المسلمين (٢) في البحر المتوسط في القرن الثالث الهجرى (العاشر الميـــلادى) فخرج دمنانه سنة ٢٩٨ هـ ـ ٩١١ ، كله في عهد الخليفـــة المقتدر (٢٩٥ ـ ٣٢٠ هـ) للثأر من القبارصة ، ونزل بشـــاطىء قبرص ، واقام بها أربعة أشهر يسبى ، ويقتل ، ويحرق ويدمر تكالا بهؤلاء

---

(١) القرموط : بحث بمجلة كلية البنات الاسلامية بأسيوط العـدد الأول والثانى تحت عنوان « الربضيون فى الاسكندرية » .

(٢) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ٨ ص ٢٨٢ .

الذين استشعروا الخروج على المسلمين ، وكادوا لهم ، كما أخذ يحصن المواقع التى يستولى عليها (٢) ٠

غير أن الامان دمانة في اخضاع الجزيرة لم يغير من علاقتها المضطربة بالدولة الاسلامية ، وما زال ذلك حالها حتى عهد الامبراطور نقفور الثانى فوقاس (٩٦٣ ـ ٩٦٩ م ـ ٣٥٢ ـ ٣٥٩ هـ) فقد استطاع ان يغزو قبرص (٢) سنة ٣٥٥ هـ - ٩٦٥ م ،ومحا كل اثر للسيطرة الاسلامية عليها بمساعدة قائده نقتاس ٠ فعادت الجزيرة نهائيا الى حظيرة الدولة البيزنطية بعد أن ظلت نحوا من سبعين سنة يغلب عليها النفوذ الاسلامى ، ولم يقتصر دور نقفور على قبرص بل تعداه الى مناطق أخرى كثيرة للمسلمين (٣) ٠

وكف العرب منذئذ عن مهاجمة الجزيرة او الاغارة عليها ، بل كفوا عن مضايقة الدولة البيزنطية بوجه عام ، وأصبحت المتاعب التى تواجه الاباطرة البيزنطيين تأتى من الناحية الداخلية ، أو من ناحية أعداء غير مسلمين ٠ أما السبب الرئيسي في انصراف المسلمين عن قبرص منذ أواخر القرن العاشر الميلادى ـ الرابع الهجرى فهو أن الدولة الاسلامية لم تعد قادرة على القيام بمجهودات حربية كبرى بعد أن خرجت عليها الدولة الفاطمية وغيرها من الدول بالشرق والغرب الاسلامى ، وأصبح نشاط تلك الدول التى انقسمت اليها الامبراطورية الاسلامية موجها ضد بعضها البعض لما بينها من تنافس مذهبى شديد (٤) ٠

---

(١) المسعودى : المرجع السابق الجزء والصفحة ٠
(٢) عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ٦١ ٠
(٣) عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ٦١ ـ ٦٢ ٠
(٤) المرجع السابق ص ٦٣ ٠

أما السلاجقة ، فقد أقاموا دولة اسلامية عظيمة في العـــراق والشام والاجزاء الشرقية من آسيا الصغرى ، والذين أخذوا في القرن الحادى عشر الميلادى يقتطعون الجزء تلو الجزء من ممتلكات الدولة البيزنطية ، فانهم ظلوا قوة برية لانهم لم يعتادوا ركوب البحـــر والمغامرة فيه ، ولذا بقيت قبرص في مأمن من حركتهم التوســعية الهـــائلة (١) ٠

ولما كانت الاوضاع قد تردت في العالم الاسلامى ، وأصبحت البلاد مسرحا للتفكك والانقسام ، وبؤرة للصراع المذهبى والسياسي فقد مهدت هذه الامور الطريق أمام الغزو الصليبى ، ومنح الاستعمار الغربى فرصة كبيرة لتطوير جيوشه التى أخذت تغير على آســيا الصغرى والشام ومصر ابتداء من أواخر القرن الخامس الهجـــرى « الحادى عشر الميلادى » وعلى وجه التحديد ابتداء من سنة ٤٩٠ هـ ـ ١٠٩٦ م ، ففى هذه السنة أخذت جيوش الصليبيين في الوفود بانتظام الى العالم الاسلامى تدمر وتخرب ، وتسلب وتنهب حتى استطاعت في النهاية أن تؤسس أربع امارات صليبية في بلاد الشام ٠

وكل ما يهمنا من هذه الامارات هى امارة انطاكية التى كانت لاحداثها صلة بجزيرة قبرص ، فقد استطاع بوهيمند النورماندى ان يؤسسها له سنة ٤٩٢ هـ ـ ١٠٩٨ م (٢) ٠

وقد حاول الامبراطور ألكسيوس كومنين تسليم تلك المدينـة الهامة الى الدولة البيزنطية لما اتفق عليه سلفا في القسطنطينية قبل

---

(١) عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ١٦ ٠

(٢) راجع : دولة الخلافة العباسية (د٠ زكى غيث) القسم الثانى ص ٣١ ـ ٣٩ ٠

رحيل الحملة الصليبية الاولى عنها الى هذه البلاد ، فلما عجز الامبراطور عن الحصول على انطاكية بالطرق السلمية عمد الى الحرب ضد الصليبيين بوجه عام ، وضد بوهيمند أمير انطاكية بوجه خاص ، وعمد ألكسيوس الى الافادة من موقع جزيرة قبرص الجغرافي في تنفيذ تلك الحرب ، اذ جعلها قاعدة لقواته التى أعدها لذلك الغرض ، كما أنه عمل على حماية قبرص من أى هجوم يأتى من ناحية بوهيمند • ومنذ ذلك الوقت دخلت قبرص ان طوعا أو كرها دائرة الحروب الصليبية ، وكان لها دورها الكبير والمؤثر احيانا على سير هذه الحروب في تلك الاثناء تحت سيطرة البيزنطيين •

وكان حاكم قبرص من جهة الامبراطور رجلا قوى المراس اسمه فيلوكاليس ، وقد قام على رأس قوة من قبرص لدفع بوهيمند عن اللاذقية سنة ٤٩٣ ـ ١٠٩٩ م ، وما زال به حتى أرجعه الى امارته بأنطاكية • وظهر منذ ذلك الوقت نشاط قبرص ودورها في تلك الحروب مع الصليبيين والبيزنطيين من ناحية ، والمسلمين من ناحية أخرى •

وقد تطورت الامور في أنطاكية بين الصليبيين والامبراطور البيزنطى مما جعل أرناط ـ أصبح أميرا لانطاكية سنة ١١٥٣ م ـ يغير على قبرص سنة ١١٥٦ م ليظهر استعداده وقدرته على محاربة الامبراطور مانويل كومنين (١١٤٣ ـ ١١٨٠ م) ، وأمعن في تلك الاغارة التى فاقت في قسوتها وعنفها وما صحبها من تخريب وتدمير ونهب ما حل بالجزيرة القبرصية من جراء الغارات الاسلامية السابقة مجتمعة • وعلى سبيل المثال فقط قطع أنوف رجال الدين القبارصة وآذانهم امعانا في التشفى والانتقام (١) •

---

(١) عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ٢٢ ـ ٢٣ •

ويبدو أن أرناط اتجهت نيته أول الامر الى الاستيلاء على قبرص والاحتفاظ بها ، ولكن ذلك لم يكن بالامر السهل والهين، فعاد الامير الى بلاد الشام محملا بالاسلاب والغنائم المسيحية من الجزيرة.

وعاشت قبرص دائرة الحروب الصليبية من ناحية أخرى : وهى ناحية المسلمين أصحاب النفوذ فيها ، والذين اعتبروا الجزيرة موئلا لهم من الصليبيين في بعض الاحيان ، بفضل ما ظلّ من حسن العلاقة بين الدولة البيزنطية والمسلمين من الفاطميين والايوبيين معا.

ومن ذلك على سبيل المثال عندما استولى بلدوين الثانى على بيروت في مايو سنة ١١١٠ م (٥٠٤ هـ) فر اميرها المسلم الى قبرص كما حذا حذوه كثير من أهالى المدينة المسلمين (١) .

على أن ذلك لا يعنى أن الامور استمرت على صفاء دائم لا يشوبه كدر السياسة بين المسلمين والقبارصة ، اذ أن قبرص كانت في نظر المسلمين لا تعدو أن تكون بلدا مسيحيا يسكنه قوم من النصارى يؤيدون في غالب الاحيان رفقاء الدين والمذهب . ثم انه على الرغم من كل مظاهر العداء بين الصليبيين والبيزنطيين حول النفوذ والكسب المادى في بلاد المسلمين فان هذه المسألة لم تكن لتثنى أهل قبرص عن الاقدام على التجارة مع الصليبيين بالشام : تجارة جنت من ورائها أرباحا طائلة ، فقد أمدتهم بالمؤن امدادا متتابعا منذ الحملة الصليبية الاولى مما لم يخف على المسلمين دورها الهام السابق والذى أعان الغزو الصليبى ، وثبت أركانه في بلاد المسلمين .

---

(١) عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ٢٣ .

لذلك حاول المسلمون أن يثأروا من قبرص لموقفها هـــذا ، فتعرضت لهجمات سفنهم واساطيلهم ، كما تعرضت الســـواحل الصليبية بالشام لهجمات المسلمين بغية تعطيل تلك التجـارة التى اعتمدت عليها أرواح الصليبيين في هذه المناطق كحصار اقتصادى لهـــا ٠

غير ان اغارة المسلمين على جزيرة قبرص قبيل سنة ٥٨٧ هـ ـ ١١٩١ م لم تهدف الى شيء أكثر من تعطيل تلك التجارة ؛ لذلك ظلت محدودة لا تزيد في أوصافها عن صفات الغزوات السريعة ذهاباوايابا للتخويف والتهديد ليس الا ، ولذلك ندرت أنبـــاؤها في المراجـــع المعـــاصرة ٠

ففى سنة ٥٥٣ هـ ـ ١١٥٨ م مضت عساكر المسلمين (الفاطميون) في البحر الى قبرص ، وعادوا بكثير من الاسرى منهم أخو صـاحب قبرص ، فضلا عن جملة من الغنائم (١) ٠ وربما يرجع السبب فيما يبدو لنا أن المسلمين اعتبروا الميدان القبرصي ميدانا ثانويا بالقياس الى الميدان الرئيسي بالشام ، التى استوجب فيها العمل على اخراج الصليبيين من الاماكن التى استقروا فيها والتى كانت مصدر فـــزع ورعب للمسلمين حتى سنة ٥٢١ هـ ـ ١١٢٧ م حين ظهور عماد الدين زنكى ، الذى كان له نشاطه الحربى ضد وجودهم ؛ ثم نور الدين محمود ابتداء من سنة ٥٤١ هـ ـ ١١٤٦ م ؛ ثم كانت مجهودات صلاح الدين الايوبى في حطين سنة ٥٨٣ هـ ـ ١١٨٧ م وغيرها من مدن الشام تتويجا لهذه المعارك في مواجهة الصليبيين في بلاد الشام ؛ ثم استمر الامر مع من جاء بعد صلاح الدين من خلفائه من بنى أيوب ٠

---

(١) ابن ميسر : أخبار مصر ج ٢ ص ٩٨ ٠

المهم أنه ازاء الاخطار التى تعرض لها القبارصة من ناحية المسلمين والصليبيين منذ أواسط القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) عين الامبراطور أندروتيق الاول كومنين (١١٨٢ - ١١٨٥ م) قريبه اسحق كومين على الجزيرة منذ سنة ١١٨٤ م ـ ٥٨٠هـ غير أن اسحق لم يكد يصل الى الجزيرة حتى استبد بالامور ، وقطع صلته بالقسطنطينية ، وتلقب بلقب امبراطور قبرص (١) ٠

وعلى الرغم من أن اسحق قد نجح في توطيد سلطانه في الجزيرة حتى تعسر على أباطرة القسطنطينية عزله أو التغلب عليه ، رغم ذلك لم يكن بمنأى عن هجمات الاسطول الاسلامى ٠

ففى سنة ٥٨٧ هـ ـ ١١٩١ م غزا المسلمون الايوبيون قبرص (٢) ، وغنموا الكثير من الغنائم ، وعادوا بسفنهم محملة بالنفائس الى اللاذقية ، حيث قسمت الغنائم فبلغ نصيب كل فرد ـ على كثرتهم ـ أربعة آلاف درهم من الفضة ٠

ونتيجة لما قام به صلاح الدين الايوبى من حرب خاطفة أتت على مملكة بيت المقدس أواخر القرن الثانى عشر الميلادى ، ثارت أوروبا ضد هذا التطور ، وارسلت حملة صليبية كبيرة ، وهى المعروفة بالثالثة ، تحت قيادة ريتشارد قلب الاسد ، ولكن هبت على أسطوله المكون من خمس وعشرين سفينة ريح صرصر عاتية لذلك دمرت معظم سفن الاسطول ، فاضطر للجنوح الى قبرص في السادس والعشرين من ربيع الاخر سنة ٥٨٧ هـ (٣) ، ولكن اسحق

---

(١) عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ٢٤ ٠
(٢) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ٢ ص ١٨٢ ٠
(٣) راجع الروضتين فى اخبار الدولتين ج ٢ ص ١٨٣ ٠

حاكمها أسرع بمصادرة بعضها ونهبها وأسر رجالها وتكبيلهم بالحديد ، ولكن ريتشارد استطاع ببقية سفنه أن يستولى على الجزيرة بعد أمور مختلفة (١) ولكن امام زحف قوات ريتشارد فر اسحق تاركا جنوده وذخائره للانجليز لقمة سائغة ٠

وقد وصلت الاخبار الى السلطان الايوبى بعصيان حاكم قبرص على ملك انجلترا ومكاشفته بالعداوة والحرب ، ويطلب منه مساعدته ثم وصلت الاخبار بعد بأن « ملك الانجليز أحرق موانى قبرس ووعرها ، وقطع الميرة عن الساحل » (٢) ٠

وهذ ذلك الوقت أصبحت قبرص ركيزه هامة في الحروب الصليبية ، ذلك ان ريتشارد قبل توجهه الى المشرق الاسلامى ليثأر من المسلمين عين عليها اثنين من رجاله هما ريتشارد كاملفيل، وروبرت تورنهام لحكمها ، واوصاهما بارسال المؤن والدقيق والمواشي والنبيذ وغيرها من غلات الجزيرة الى الصليبيين بالشام ٠

ولكن ظروف الحرب من ناحية ، والمقاومة العنيدة من المسلمين من ناحية ثانية ، وظروف ريتشارد نفسه ن ناحية ثالثة ، ووضع الجزيرة وثوراتها من ناحية رابعة جعلت ريتشارد يحاول التخلص من اعبائها ومسئوليتها ، فباعها ٠ باعها ريتشارد للفرسان الداوية (٣) بمبلغ الف بيزانت، دفعوا منها ستين الفا وتبقى عليهم

---

(١) عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ٢٧ ، د٠ غيث : دولة الخلافة العباسية ق ٣ ص ١٠٤ ٠

(٢) الروضتين ج ٢ ص ١٧٨ ٠

(٣) الداوية : هم أنصار جمعية الهيكليين ، تأسست فى فرنسا سنة ٥١٢هـ ـ ١١١٨ م ، وكانت الجمعية رهبانية عسكرية ٠ والسبب فى تسميتهم هيكليين أن بلدوين الثانى بنى لهم منزلا فوق هيكل سليمان٠ سيد على الحريرى : الأخبار السنية في الحروب الصليبية ص ٥٣ ٠

أربعين الفا تعهدوا بدفعها عند تسليم الجزيرة ٠

ولم يلبث الفرسان الداوية ان وجدوا حمل جزيرة قبرص يفوق طاقتهم ، ولاسيما بعد ان استنفدت حركات صلاح الدين كل مجهودات الصليبيين لذلك اكتفى الداوية باقامة حامية صغيرة لهم في قبرص ، وعمدوا الى الصرف عليها مما يجمعونه من أهل الجزيرة ، مما جعل الحكم اللاتينى يبدو كأنه كارثة لحقت بالجزيرة في أعين القبارصة ، مما دعا الناس الى الثورة في نيقوسيا عاصمة الجزيرة ضد سادتهم الجدد سنة ١١٩٢ م / ٥٨٠ هـ ، وأعملوا الذبح في اللاتين الصليبيين ، وبدأ في أفق السياسة الصليبية انذاك ان قبرص سوف تخرج من أيديهم بنفس السرعة التى آلت اليهم بها ، وادرك الداوية انه سيتعذر عليهم الاحتفاظ بقبرص الى الابد ، وان حكمها أصبح أصعب وأشق مما كانوا يظنون ، فطلبوا من ريتشارد حل الصفقة ورد المبلغ الذى دفعوه ٠ (١)

وهذا التطور الذى حدث انقذ ريتشارد من احدى صعوباته ، ذلك أن اختيار هنرى دى شامبين ملكا على بيت المقدس في ابريل ١١٩٢ م / ٥٨٨ هـ جعل ريتشارد يبدو في نظر المعاصرين كأنما ضيع على الملك جاى لوزجنان ـ اوغرى ، وأوجوى لوزنبيان الفارس الفرنسي ـ الذى كان ملكا على بيت المقدس ، واطلق سراحه صلاح الدين بعد أسره ٠ (٢) ضيع عليه حقوقه ، وهو الذى اسرع الى نجدة ريتشارد في قبرص ، وساعده على اتمام فتحها في سرعة ٠ فقد اعترى المرض قلب الاسد فاضطر

---

(١) عاشور : قبرص والحروب الصليبية ص ٣١ ٠
(٢) غيث : دولة الخلافة العباسية ق ٣ ص ٩٨ ٠

الى البقاء في نيقوسيا ، وترك مطاردة اسحق وجيشه لجاى لوزجنان، فقام هذا بمهمته خير قيام ، فقد سار شمالا حتى استولى على قلعة كيرين حيث وجد ابنة اسحق بها فأسرها ، واستولى اليأس على اسحق لذلك فسلم نفسه وبلاده لهم ٠

وقد كانت فرصة مواتيه لريتشارد ان يرد الجميل لجاى ، فرحب بعودة قبرص من الفرسان الداوية ترحيبه ببيعها الاول ، وعرضها على جاى هذا مقابل تنازله عن حقه في مملكة بيت المقدس، فرضي جاى بذلك العرض ، كما رضي ان يدفع للداوية مبلغ الستين ألف بيزانت التى دفعوها لريتشارد مقدما من ثمن الجزيرة ، وتعهد بدفع الباقى لريتشارد نفسه بعد تسلم الجزيرة وتمت بالفعل الاجراءات القانونية لابرام الصفقة قبل ان يبرح ريتشارد عكا في ١٩ اكتوبر ١١٩٢ م / شوال ٥٨٨ هـ عائدا الى بلاده ، وتسلم جاى الجزيرة حوالى ذلك التاريخ ٠

وهكذا قامت الدولة اللوزجنانية بجزيرة قبرص ، وهى التى استمرت ما يقرب من ثلاثة قرون من سنة ١١٩٢ م – ١٤٧٢ م / ٥٨٨– ٨٢٨هـ ، واثرت تأثيرا قويا في اتجاهات الحروب الصليبية ٠ ولنا مع هذه الفترة وقفة اخرى في بحث جديد ان شاء الله ٠

والخلاصة حول هذه الفترة السابقة من تاريخ جزيرة قبرص :

أولا :

ان الجزيرة حتى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ظلت كالكرة تتلاقفها الدولتان الاسلامية والبيزانطية دون ان تستطيع احداهما ان تستأثر بحكمها ، أو تفرض سيطرتها التامة عليها ، على حين قنع القبارصة بدفع الاموال للمسلمين والبيزانطيين

على السواء ، فالجزيرة « لمن غلب » على حد تعبير البشارى • (١)

ثانيـا :

لولا الاجراءات الحـاسمة التى اتخـذها الامبراطور طبريوس الثالث (٦٩٨ ـ ٧٠٥ م / ٧٩ ـ ٨٦ هـ) عندما حاول فيما يبدو أن يجعل الغلبة في قبرص للدولة البيزانطية ، فأرسل لحمايتها جيشا كبيرا واسطولا عظيما ، وعين لها واليا من طبقة الاستراتيوتى ، لولا ذلك لاستطاع العرب احتلال قبرص احتلالا مشابها لما فعلـوا في كريت حيث السيطرة الكاملة • (٢)

ثالثـا :

تعتبر ايام عبد الملك بن مروان من أزهى الفترات وأهمها قيمة ، فقد انتصرت قواته البحرية انتصارا رائعا على جستنيان الثانى ، مما أدى الى زيادة الجزية الخاصة بالمسلمين على قبرص الفـا من الدنانير ، وهذا يوضح المركز الحربى للاسطول الاسلامى انذاك •

رابعا :

لم يقتصر رد الفعل البيـزانطى في ذلك الوقت على مواجهـة السفن الاسلامية في البحر الابيض خوفا من قوتها ، ولكنها عـدلت

---

(١) البشارى : شمس الدين أبو عبد الله : أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ص ١٨٤ ط ليدن ١٨٧٧ م •

(٢) تراجع مجلة كلية البنات الاسلامية بأسـيوط ، العدد الثانى ص ٢١٩ وما بعدها (بحث للدكتور عبد الرازق القرموط) •

عن ذلك بالهجوم على بعض المدن المصرية الساحلية للسلب والنهب من ناحية ، ولتخفيف ضغط السفن عليها من ناحية أخرى ٠

خامسا :

في اخريات الدولة الاموية اقتصر دور الأسطول الاسلامى على الاغارة السريعة ، والحصول على الغنائم ، او لتذكير اهل قبرص بالاتفاقات السابقة ، وضمان الجزية المقررة التى اختلفت تبعا لقوة النفوذ الاسلامى او البيزنطى ٠

سادسا :

وعلى الرغم من أن الدولة العباسية أهتمت بالجيوش البرية أهتماما كبيرا وذلك لظروفها الخاصة ، ورغم انه كان لهذه الجيوش القدح المعلى في التفوق ، فلم تهمل مع ذلك العناية بالاسطول كلية ، بل أولته من الاهتمام الكثير مما ظهر أثره في عهد الرشيد ، فقد أرسلت في عهده ثلاث حملات الى جزيرة قبرص كما ذكرنا ، وعادت احداها بالكثير من الاسرى (١٦ أو ١٧ ألفا) وعلى رأسهم الاسقف والكثير من الغنائم ٠

سابعا :

ان الدولة الاسلامية قد تحولت الى دولة بحرية منذ أواخر القرن السابع الميلادى (الاول الهجرى) ولم يعد البحر الابيض بحرا روماتيا ، بل صار حدا للعالم الرومانى والبيزنطى ، كما صارت جزره داخلة في نطاق آسيا وافريقية ، ولم تعد داخلة في نطاق أوربا ٠

هذا فضلا عن اجزاء كبيرة من سواحل البلقان وجنوبى ايطـــاليا ، وجنوب فرنسا ، ومعظم شبه جزيرة أيبريا • (١)

ثامنا :

وبسبب الظروف التى مرت بها الخلافة العباسية ، من الخلاف بين الامين والمأمون ، وما أصاب الدولة بعد ذلك من اقتطـــاع بعض الاجزاء عنها ، ثم قيام الخلافة الامـوية بالاندلس ومعارضـــتها للعباسية ، واهتمامها بأسطولها الذاتى ، ثم قيام الاغالبة في شمال افريقيه • فعلى الرغم من ازدياد نشاط البحرية الاسلامية في الجانب الغربى للبحر الابيض ، فان النفوذ في الجزء الشرقى منـــه بدأ في الانحطاط مما كان له اثره على أحداث وأوضاع قبرص •

تاسعا :

يبدو أن نشاط الامبراطورية البيزانطية قد ضعف هو الآخـــر في هذا الجزء من البحر الابيض أيام ليو الحكيم ، فقد قوض ابراهيم ابن الاغلب كل اسطولها من ناحية ، وما أحدثه مسلمو كريت أيضـا حين دمروا اسطولا حربيا قرب جزيرة تاسوس ، وأعاقت الاسطول الجديد حتى عن الابحار (٢) بجانب النشاط البرى للعباســيين في اناضول • لذلك ظلت جزيرة قبرص تدفع الجـزية للعبـــاسيين والبيزانطيين على السواء •

---

(١) حسين مؤنس : المسلمون فى حوض البحـر الأبيض ص ١٣٢ المجلة التاريخية المصرية سنة ١٩٥١ م •

(٢) أرشيبالد : القوى البحرية ص ٢٢٣ •

عاشرا :

وقد بدأ الاسطول البيزانطى صحوة أخرى ، اذ ادرك رومانوس ليكابينوس الذى كان قائدا للاسطول البيزنطى قبل ان يغتصب العرش ، هو اول حاكم بيزنطى بعد باسيل الاول آمن بأهمية الاسطول وضرورته للامبراطورية ، ففى ايامه افاقت القوة البحرية بالقسطنطينية ، ونهضت من المنخفض الذى كانت عليه قبل ، وبلغ ذروة نشاطه في عهد نقفور فوقاس ، مما كان له اثره على جزيرة قبرص .

حادى عشر :

ان قبرص قد صارت بؤرة للصراع الصليبى ضد الاسلام ، ووكرا للحملات الصليبية ، ومركزا للانطلاق منه الى سواحل مصر والشام ، ومواردا خصبا ودائما للامدادات والازواد التى مكنت للصليبيين في البلاد الاسلامية التى استولوا عليها فترة طويلة من الزمن ، خاصة بعد استيلاء رينشارد عليها ، وبيعها لفرسان الداوية ثم لجاى لوزجنان الذى تغيرت الجزيرة في عهده وعهد خلفائه تغييرا جذريا ، فكشفت عن وجهها القبيح وعداءها السافر للاسلام ، وما نشاهده الآن ليس بجديد عليها .

ونختم هذا البحث بسؤال مؤداه : ما هى الاسباب التي أدت الى توجه الأسطول الاسلامى نحو الجزيرة ؟

ونجيب عليه فنقول :

اولا :

ان قبرص تعتبر خير مركز للوثوب على القسطنطينية وأطراف آسيا الصغرى اذ تجتمع بها القوات البحرية والبرية المنقولة اليها

من مصر والشام فلا تكون الا عشيه وضحاها حتى تصل الى شواطىء آسيا الصغرى وجزائر البحر اليونانى ، بل والقسطنطينية نفسها (١) ٠

ثانيا :

ان العرب المسلمين لم يعتبروا جزيرة قبرص قاعدة حربية للهجوم فحسب بل خالوها موضعا للخطر على مصر والشام مادامت في أيدى البيزانطيين الذين كانوا يحاولون استعادة هذه المناطق ثانية من ايدى المسلمين ، فرغبة المسلمين في الاستيلاء على الجزيرة كانت مسألة دفاعية هجومية في آن واحد ٠ ولا يغيب عنا ما اشترطه معاوية بن أبى سفيان على أهل الجزيرة ٠

ثالثا :

اشباع الحركة الدينية عند المسلمين ، فقد كانت رغبتهم في نشر الاسلام في أماكن عديدة من الكرة الارضية تفوق أى رغبة أخرى ، وهذا ما دفعهم للخروج من جزيرتهم أولا ، ثم توسيع دائرته قدر الاستطاعة ، فاتجهوا نحو الشمال ونحو الغرب ، وفي جزائر البحر الابيض (بحر الروم) العديدة ومنها قبرص بطبيعة الحال ٠

رابعا :

ثراء الجزيرة ، وتنوع حاصلاتها ، وكثرة اموالها وغلاتها ، كانت من الدوافع لغزوها (٢) ففيها النحاس والحديد والاسبتوس

---

(١) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ص ٢٥٥ ٠

(٢) راجع الكرخى : مسالك الممالك ص ٧٠ ، وابن حوقل : المسالك والممالك ص ١٣٦ ، البشارى أحسن التقاسيم ص ١٥٨ حول ثروتها ٠

والكروم التى تستغل استغلالا تجاريا ، مع العنب واللوز والزيتون والموالح التبغ الخضروات وغيرها ٠ (١) على ان ذلك لا يجب ان نعتقد ان الاغارات الاسلامية على قبرص لم يقصد من ورائها سوى النهب والاستغلال فقط ، بل ان مقتضيات الحرب جعلت المسلمين يقومون ببعض الاعمال التخريبية في معظم الجزائر في البحر ومنها قبرص ، كرد فعل للغارات البيزنطية على بعض بلاد الشام ومصر٠

خامسا :

وهذا الامر ترتب على الغزو وان لم يكن سببا فيه ، وهو خاص بالفكر والثقافة ، فعندما نشطت الحركة العلمية في عهد المأمون العباسي أمر الخليفة باحضار كثير من المؤلفات الاغريقية الفلسفية وغيرها من قبرص لترجمتها الى العربية ٠

سادسا :

ولم تكن معاملة المسلمين لاهل قبرص الا بناء عن مشورة الفقهاء والائمة بدليل ما حدث خلال العصر العباسي ، وعلى الأخص زمن ابى جعفر المنصور عندما ثار القبارصه ونقضوا شروط الصلح القديم ، فاستشير في أمرهم كبار الائمة في ذلك الوقت ومنهم مالك أبن انس والليث بن سعد وسفيان بن عينية ، وموسي بن أعين ، واسماعيل بن عباس ، ويحيى ابن حمزة ، واسحاق الفزارى وغيرهم ٠ (٢) وقد سبق ذكر ذلك ٠

---

(١) محمد عبد الفتاح : قبرص لؤلؤة شرق البحر المتوسط ص ٥١ ـ ٥٢ ٠

(٢) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ص ٢٣١ ٠

وأخيرا نقول ان سيطرة العرب المسلمين على هذه الجزيرة في الفترة التى نتحدث عنها لم تكن سيطرة تامة ، بل ظلت علاقة الجزيرة بالقسطنطينية قائمة ومتصلة ،فهى بين العرب والبيزنطيين مناصفة حيث يقول ابن جوقل : « انها كانت قسمين ، نصفا للمسلمين ونصفا للنصرانية » (١) .

وهى الان وفي عصرنا الحاضر كذلك ، فهل ستحافظ على هذا الوضع ، وهل الدول المسيحية في العالم وغيرها ستعترف بهذا الوضع وتؤيده ، أم انها ستحول دون وجود دولة اسلامية ناشئة في هذه الجزيرة ذات الموقع الاستراتيجى حاليا ، أم ستقف هذه الدول ضد مشاعر المسلمين لاسقاط هذه الدولة الجديدة . وسيخرجون منها خروج المسلمين من كريت وصقلية وأرواد وغيرها أم خروج الفلسطينيين في عصرنا الحديث .

هذا ما ستسفر عنه الايام القادمة ، ونأمل ان تقف الدول الاسلامية جميعها وقفة واحدة مؤيدة لهذه الدولة تشد من ازرها ، وتساعدها على البقاء والنماء والاستقرار ، وألا ندفن رءوسنا في الرمال ، وننسى ما فعلوه بأبناء مصر وما فعل يوسف السباعى وقوات المظليين في مطار لارناكا ببعيد .

دكتور
عبد الرازق الطنطاوى القرموط

---

(١) المسالك والممالك ص ١٣٦ .